

كثافة العناوين في المجموعة الشعرية
"رقصة الحمأ المسنون" لـ "عبد الكريم ينيه"
مجموعة الموت والفجيرة

Titel Density in poetry collection the Elderly Hama Dance by Abdel-
karim yenina

د. طعام شامخة

جامعة تيسمسيلت

الجزائر

instaid@hotmail.com

ملخص:	معلومات المقال
تحتل عتبة العنوان بأهمية استراتيجية بالغة لا يمكن لأي باحث أو قارئ أن يتجاوزها أو أن يغفلها كما لا يمكن دخول عوالم النصوص واكتشاف كنهها دون الوقوف وقفة متأنية على العنوان وخصه بقراءة واعية متأملة "فهو نظام دلالي رامن له بنيته السطحية، ومستواه العميق مثله مثل النص تماما" ⁽¹⁾ وقد أدرك المبدعون بدورهم هذه الأهمية فراحوا ينسجون عناوين مكثفة لنصوصهم تشد القارئ وتجذبه وتدعوه لمواصلة القراءة. نظرا لما تتصف به من دلالات عميقة، تنعكس بدورها على البنية العامة للمتن.	تاريخ الارسال: 12 ماي 2021 تاريخ القبول: 18 ماي 2021 الكلمات المفتاحية: ✓ العناوين مجموعة شعرية ✓ الإيجاز ✓ رقصة الحمأ ✓ قصيدة
Abstract :	Article info
The threshold of the title is of great strategic importance that no researcher or reader can overlook or neglect, just as it is not possible to enter the worlds of texts and discover its meaning without stopping carefully at the title and singling it out with a conscious, contemplative reading. (1) The creative people, in turn, have realized this importance, so they weave condensed headings into their texts that attract and attract the reader and invite him to continue reading, given the profound connotations it has, which in turn is reflected in the general structure of the body.	Received 12 May 2021 Accepted 18 May 2021 Keywords ✓ The title are a collection of poerty ✓ brevity ✓ sludge dance ✓ poem

مقدمة:

يتصف العنوان تحت هذا السياق أيضا بأنه «مفتاحاً إجرائياً في التعامل مع النص في بعده الدلالي والرمزي»⁽²⁾ نحاول من خلال هذه القراءة في المجموعة الشعرية **رقصة الحمأ المسنون**⁽³⁾ للشاعر **عبد الكريم ينينة** أن نكشف عن الحمولة التي اتصفت بها عناوين المجموعة إضافة إلى العنوان الرئيس خاصة وأن معظم عناوين نصوصه تتناص مع مرجعيات دينية وتراثية وأسطورية لاسيما في مرحلة تاريخية حاسمة من تاريخ الجزائر.

تحليل النص:

وقد عكس الشاعر من خلالها رؤيته ووعيه بالواقع والمرحلة التاريخية التي كابدها ويلاهما كل الشعب الجزائري أثناء مرحلة التسعينيات وكيفية تمثيلها جمالياً. من هنا لا بد من محاولة قراءة تلك العناوين وتأويلها من خلال تلك المرجعيات التراثية والدينية والتاريخية، انطلاقاً من أن تفسير دلالات العنوان تحتاج إلى قراءة واعية كاشفة، ذلك أن العنوان يحيل إلى داخل العمل وإلى خارجه في الآن معاً، ويسهم في إدخال القارئ كطرف أساسي في عملية التأويل.

يفتح "عبد الكريم ينينة" مجموعته الشعرية ((رقصة الحمأ المسنون)) بقصيدة كسوف ليختمها بقصيدة خسوف، ولعل أهم ما يميز هذه المجموعة أنها جاءت حزينة، بل إنها كتبت بلغة الفجعة والحداد، تماشياً مع الحالة النفسية للشاعر، والحالة المتأزمة التي مرت بها الجزائر. وقد تكفلت العناوين برصد هذه الأحوال. ويخضع العنوان في تشكيله اللغوي والتركيبى لقدرة المبدع وخبراته اللغوية والفنية، ومدى سعة قاموسه اللغوي، وإدراكه لحمولة المفردة وقيمتها التعبيرية والدلالية، وقدرته على توظيف المفردة التي تبلغ رؤيته الوجودية والإبداعية، هذا ما يؤكد من جديد الدور الذي يمارسه العنوان إبداعاً، وغواية مثيرة يثبها حول النص تلقياً، فهي جزء من إستراتيجية الكتابة لدى الكاتب؛ بغية جذب القارئ وإشراكه في إنتاج النص عن طريق القراءة كفعل منتج ومؤول من أجل الوصول إلى جوهره، بدوره يولد العنوان دلالات، أي إنّ العلاقة انعكاسية بين النصّ وعنوانه، كما إنّ عنوان نصّ ما، بإمكانه أن يضفي عتمة النص ويكشف كثيراً من دلالاته وجمالياته، بمعنى إنه بؤرة تركيبية، وقراءتنا له تسعى إلى استنطاق النصّ كوحدة متكاملة.

تقودنا قراءة هذا العنوان الرئيس إلى الوقوف على التحول الذي أصاب إستراتيجية العنوان عند الشاعر في تجربته الشعرية المختلفة، فـ **رقصة الحمأ المسنون** تعبير عن حدة الشعور القاسي بالحزن والمرارة والسوداوية، وحالة الفجعة، وقد لعب العنوان دوراً هاماً من خلال شعريته ووظيفته الإعلان في الكشف عنها، حيث تخلخلت بنيته واكتسب دلالات دينية وفلسفية ووجودية تتجاوز دلالاتها الظاهرة إلى دلالات أكثر عمقا وإيحاء، وقد تشكل من جملة مركبة: "رقصة الحمأ المسنون".

والحمأ: جمع حمأة، وهو الطين المتغير إلى السواد. وقوله: (مسنون) يعني: المتغير وهو أصل خلق الإنسان، ولعل في التغير حركة، أو شطحات تأخذ شكل صورة رقصة ما متخيلة، عبر عنها الشاعر في نصوصه الشعرية موضوع هذه الدراسة، وهو ارتباط مباشر بمرجعية دينية ووجودية استحضرها الشاعر ليبلغ من خلالها

رسائل لعل أهمها أن ثورتك أيها الإنسان ضد بني جنسك وممارسة كل أنواع الظلم ضدهم لا يزيد من شأنك، فتذكر أنك مجرد حفنة طين يمكن أن تتغير حالها في أي لحظة من اللحظات، ما دمت لا تملك قدرة على نفسك، إذن فهذا العنوان يحمل دلالة وجودية تضاف إلى دلالاته الأدبية، نشير إلى أن هذا العنوان هو نفسه عنوان لأحد النصوص الموجودة في المجموعة، وهي قصيدة عمودية هذا مطلعها:

يمامة الزجل.. العاتي تراودني
عن العيون.. بمنقار من الزبد
حطّ الجناح بها في حاجبي لكي
تبني على مقلتي عشا من الرمذ (37)

إن هذا الانزياح الذي تشكل منه العنوان الرئيس سوف نجد تأثيره في النصوص الشعرية عموماً، إذ ستخضع بموجبها في بنائها المقطعي إلى جملة عوامل أهمها التأسيس على التضاد والاحتمالية والحوار والتساؤل والتعجب وإثارة الدهشة التي تثير كثيراً من المخاوف، وتحقق كثيراً من الجمالية.. كما تتمظهر ملامح الفجعة من خلال هذا العنوان الذي يكتنفه كثير من الغموض حيث تشكل بطريقة رمزية غير مألوفة كما رأينا.

كما أثرت الصياغة غير المألوفة التي تشكل منها العنوان الرئيس أيضاً على كل عناوين المجموعة الشعرية، فجاءت كما رأينا مبنية على هذا الأساس الذي يكسر أفق التوقع عند المتلقي، إن المتأمل في المجموعة الشعرية "رقصة الحمأ المسنون" يجد أن الكاتب صاغ عناوينه في شكل بنى لغوية ذات مقاصد دلالية؛ تختزل رؤى الشاعر نحو الحياة والموت والحب والإنسان والوطن والكون، فجاءت عناوينه متوهجة بالشعرية، ثرية بالصور المكثفة والرموز والمفارقات... وفي هذا النص تعلن الفجعة عن وجودها في مدّ شبكة عنوانية داخل نسيج هذا النص الذي يحتوي على سبعة وعشرين عنواناً داخلية، أو فرعياً، هي على التوالي: (كسوف/ الحضارة يا سيدي الحيوان/ ض/ رعشة الصلصال/ أحزان الوهج الأبدي/ الخلود/ اللغز/ متسولة/ حعمامة/ يا قدس/ كلشوم/ لوانان/ حسان بن الثوابت/ إنسيوان / رقصة الحمأ المسنون/ حلم/ غربة الوهج/ حالة/ اعتراف/ من المهد إلى اللحد/ مقطّع من تخوم الرمال/ حساب / رقااص الساعة/ أما بعد فقد ذاب من الرقص البلح/ لك يا محمد/ مقطّع غير مهم من قصيدة البكاء/ أخلاط شعيب بن الرجاء الحضرمي/ خسوف).

ما نلاحظه على العناوين الفرعية أنها تراوحت بين عناوين مشكلة من جملة طويلة، ويتميز هذا النوع من العنوان بانه ذات بنية لغوية تتسم بطولها النسي، ويمر هذا النوع من العناوين الشعر أكثر من النشر، وأخرى من لفظة واحدة، جاء إما نكرة أو معرفة، وهي تتميز بتكثيفها واقتصادها اللغوي، ولعل ما يميز الشعر عادة هو لغته المكثفة الموحية، وعنوان واحد مشكل من حرف واحد ((ض))، وكانت بداية المجموعة مع قصيدة ((كسوف)) والنهاية مع قصيدة ((خسوف)) وبين خسوف وكسوف ولدت حكاية ((رقصة الحمأ المسنون)).

إن المتأمل للعنوان كسوف يلاحظ أنه مشكل من لفظة واحدة ذات حمولة كبيرة، وتعني كلمة كسوف: احتجاب نور الشمس أو نقصانها بوقوع القمر بينها وبين الأرض، ومن خلال قراءة النص نجد حضوراً للعنوان لكن بدلالات أخرى فقد ولد الشاعر من لفظة كسوف دلالات أخرى تتعلق بالذات،

يقول في نصه:

إياك أن تنظر...

لم؟!

سوف تصاب بالعمى....

إن أبصرت عينك مرة ..

شعاعها الخطير

شكراً... فإنني مصابٌ فيهما

من بعد ما حدثتُ في كسف الضمير⁽⁷⁾

يدل الكسوف من خلال النص على تغير الحال واستيائها، كما يعبر عن حالة نفسية محبطة تعيش بنفس خائب، فالكسوف هنا نفسي، كسوف ضمير وانحلال أمة وموت المشاعر، فما عادت التحذيرات تفي بالغرض مادام المرض قد استحوذ على الضمائر، مركز الإشعاع في الإنسان.

أما العنوان خسوف فهو عنوان اختير لآخر نص في المجموعة، وأقصر نص أيضاً، فيها نشير إلى أن اختيار هذا العنوان في نهاية الديوان لم يكن اعتباطاً، بالنظر إلى دلالة لفظة خسوف التي تعني في بعض معانيها الانقطاع والفقد والجوع والذلة والهوان...، فبعد سرد تلك الهزائم وتوالي الخييات وانتشار الظلم والقتل بين أبناء الوطن انقطع كل أسباب الخير وغارت الابتسامات وانتشرت رائحة الدم وعاش الشعب كل أنواع القهر والخوف والهوان، ولعل القارئ يستشف هذه المعاني بعد قراءة النص، يقول الشاعر:

منذ ألف... سنة

وأنا...

واقف... ههنا

مثلما المدخنة

أمنع الشمس عن ظليته. (67)

يبدو أنه لا بادرة أمل ترفرف في الأفق، هكذا ينتهي ديوان الفجعة والموت بلوحة فنية لإنسان يتجرع المرارة، واقف كمدخنة تجتر دخانها، وتنفض فتعجب الشمس عن الأرض، وقد طال به الزمن وهو على هذه الحال، لا يشعر بما يجول حوله وقد فقد كل ملمح للشعور والإحساس.

ينقل الكاتب من خلال مجموعته أجواء نفس حزين وأحوال وطن مفجوع، وما "رقصة الحمأ المسنون" إلا حكاية وطن مغدور، طعن من الخلف، فجاءت شاهداً على فترة العشرية السوداء وما عانتها الجزائر من ويلات الإرهاب، ضمنه الكاتب بعض معاناته الذاتية نتيجة الفقد والحرمان الذي أشعل فتيلة الإبداع عنده فراح يترنح شعراً وإبداعاً، مشكلاً عالماً إبداعياً عنوانه الغياب والرحيل والدم والفجعة والغدر، مستحضراً

في كل لحظة بعض الأزمنة الجميلة، زمن الطفولة، زمن ((كلشوم)) والحب والحياة.. التي

جاءت بمشابة نوافذ ضيقة يتنفس من خلالها الكاتب نتيجة تفاقم الوجد وحدة الأزمة.

وإن كان صاحبها قد جنى إلى الرمز وتوغل فيه، وبرع في لعبة التخفي وراء معاني متناسلة لا يصرح بها ولا يشي بإرادة المعنى الذي يريده من خلال توظيفه للرمز الشخصي، والذي يعني « ذلك الرمز الذي يبتكره الشاعر ابتكاراً محضاً أو يقتلعه من أرضه الأولى، أو منبته الأساس ليفرغه جزئياً أو كلياً، من شحنته الأولى، أو ميراثه الأصلي من الدلالة، ثم يشحنه بشحنة شخصية، أو مدلول ذاتي »⁽⁴⁾. ومن الرموز التي نحتها عبد الكريم وقد جاءت في نفس الوقت عناوين لبعض القصائد نذكر: أخلاط شعيب بن الرجاء الحضرمي، حعامه، إنساويان، حسان بن النوايت، وغيرها.

إلا أنها مجموعة حداد تصور مظاهر الفقد والحرمان، فقد الأحبة والأصدقاء والأهل في زمن الإرهاب الذي حصدت فيه الكثير من الأرواح في جزائر التسعينات، لذلك جاء مناخها حزينا مفجعا ييكي الشاعر فيه بحرقة وطننا يكابد ويلاات الإرهاب والقتل والتنكيل، فجاء قاموسه اللغوي مفجوعا غلبت عليه السوداوية، لقد اشتغل الشاعر على الحداد ليصور تفاصيل نفسيته المحبطة، وهو يستحضر أصواتا وأشخاصا فقدهم، وهذا الاستحضار "هو في العمق عمل من أجل إعادة تثبيت هذا الإنسان الغالي في داخلية الذات"⁽⁵⁾ كما في قصيدة **كلشوم** التي ينعاها الشاعر بألم قائلاً:

اشرب دموعك يا فتاي هيا اسقني

یا دار کلثوم "بالجوزاء ضمیمی

ناديت لكن رجع الصوت يسبقني

إلى حشاي بشهقة ..تبا كيني

على التي كانت الأنسام في يدها

وفي جسدي تعدو فتطويني (28)

فهذه الأبيات تشي بمعاناة الذات الشاعرة، وبقسوة الفقد، كما تعبر عن مرارة الفراق الذي يولد شهقة في القلب والروح، وهي التي كانت بالأمس مصدر الأفراح وملجأ الجسد.

وقد أخذت هذه القصيدة إلى نهايتها منحى حزيناً، اشتغل الشاعر فيها على موضوع الحداد الذي يقوم بدوره على عملية السلوان التي تعني مقاومة "الذات عناصر الإحباط التي تولدت لديها بسبب فقدان كائن عزيز"⁽⁶⁾ ومنه فالعنوان: **كلثوم** الذي جاء في صيغة اسم علم لامرأة عرفنا من خلال النص أنها الأم التي فقدتها الشاعر، لكن قارئ هذه القصيدة يجد أن كلثوم أصبحت تمثل الفقد بكل ملامحه، قد يقرأها الحبيب لفقدان حبيبته، وقد تحيل إلى فقدان وطن، وإلى فقدان المرأة وحاجة الرجل إليها أما وحببية وزوجة وصديقة، وإن كانت القصيدة قد كتبت في ظروف معينة إلا أنها صارت خالدة، وملائمة لكل زمان ومكان، ولكل حالة وجع وفقد تمر بها الذات، ومن ثم فإن هذا العنوان منفتح على دلالات شعرية عميقة، لا تقف عند حدود مألوفا ضيقة.

ولم يقف الأمر عند فقدان هذا الشخص، بل اتسع ليشمل فقدان الوطن، فيبلغ الحداد ذروته عندما يعبر "عن حالة روحية أليمة تؤدي إلى فقدان أي اهتمام بالعالم الخارجي وفقدان القدرة على اختيار موضوع حبّ شديد"⁽⁷⁾ فيضيع معنى الحياة ويخيم الحزن، يقول الشاعر متسائلاً في موقف بالك حزين في قصيدة حساب:

أي عندما تطرح الأشجان من قممي

وتجمع الشهب الحرّى لظى حممي

ها أنا عند بابك أيتها الكلمات
فافتحي لي ذراعيك كالأمهات
(....)

أنقذيني من الغرق
أنقذيني من الهاوية
أخرجيني من الحزن.. والحب.. والنفق
وانثريني على القافية
واصنعي لي على هيئة الفرح .. البهجات (ص50)

إن هذا الشعور البائس لم يستطع الكاتب الهروب منه إلا عن طريق الكتابة التي وجد فيها ضالته وملاذه، يمتطي بساطها لينسى الألم المترسب في أعماق ذاته المحبطة، الباحثة عن خيوط تشبه الفرح وسط ألغام ذاكرة مثقوبة مثقلة بالهموم، ففي لحظات الحزن لا ملاذ يطير إليه الكاتب إلا الكتابة، يمارس بواسطتها لعبة النسيان نكاية في الوجد وتخليدا لراهن حزين، وبحثا عن الذات من جديد بعد أن أفقدها الوجد كثيرا من ملامحها ...

ومن خلال قراءتنا لهذه العناوين الفرعية وجدنا إضافة إلى كثافتها الشعرية أنها تعكس الفجيرة إما ظاهرة أو مضمرة، هذا ما يؤكد أهمية العنوان وأنه مفتاح أولي وأساسي في أي متن، وهو أول ما يلتقي به القارئ وأول ما يشده أو ينفره لذا ينبغي على أي مشروع إبداعي أن ينتقيه بإتقان ورؤية ولعل هذا ما يجعل المبدع يولي العنوان أهمية بالغة؛ فهو ليس اعتباطيا، إذ يعتمد إلى تحميلة دلالات ظاهرة حيناً، ومستترة حيناً آخر، لذا ففهم العنوان يعدّ الخطوة الأولى للدخول إلى عالم النصّ، وهذا ما سيفعله القارئ أيضا عندما يقف على عتبة مؤولا له ومكتشفا.. فهو يعدّ عتبة مهمة في النص ومكونا أساسا من مكونات هويته.

وقد ولدت لدينا هذه العناوين إضافة إلى العنوان الرئيس التباسا إبداعيا وتشويشا معنويا تتغير قابلية فهمه من قارئ إلى آخر فهذا التركيب مجازفة إبداعية جمالية خارقة للعادة إذ يكسر الكاتب النمطية المألوفة ويخترق حدود وشرعية معاني العناوين بكل فنية ويبنى على أنقاضها بصياغة عصرية موعلة في الرمزية تخترق البنية التحتية للمعنى واللفظ معا. كما أن الشاعر يزواج فيها بين الحسرة والألم ويطعم بقليل من الحب ويتأمل بخيط ضئيل من الأمل وبالتالي جاءت مجموعته موسومة بالفجيرة والموت.

ومن خلال ما يلي نوضح استراتيجية العنوان في هذه المجموعة الشعرية لباقي العناوين التي لم نقرأها:

اختلفت عناوين هذه المجموعة الشعرية وتنوعت فنجد العنوان ذا البنية الاستعارية المجازية (عرشة الصلصال - أحزان الوهج الأبدي - غربة الوهج الأبدي، أما بعد فقد ذاب من الرقص البلح)، أو العنوان الذي يحمل دلالة زمنية (حساب، رقص الساعة، كسوف، خسوف) أو جملة نداء (يا قدس) أو حرفا (ض) أو اسم مكان (مقطع من تخوم الرمل، من المهدي إلى اللحد) أو اسم علم (كلثوم، حسان بن الثوابت، لك يا محمد، حعامه) ومن العناوين الأخرى عناوين تحمل دلالة رمزية (أحلاط شعيب بن الرجاء الحضرمي) أو دلالة وجودية (الخلود، اللغز، إنساوان، الحضارة يا سيدي الحيوان) أو دلالة دينية (من المهدي إلى اللحد).

الخاتمة:

أخيراً، ومن خلال قراءة هذه المجموعة الشعرية يجد القارئ نفسه مأخوذاً بسحر نصوص متناسلة مدهشة وغريبة، يتميز فيها الخيالي بالواقعي فيشكلان فضاءً شعرياً ساحراً يزاوج بين الألم واللذة والتاريخ والذاكرة والعنف والخوف والقلق والحب...، في أجواء صوفية أسطورية رمزية، متجاوزة للمألوف المبتذل محاولة بلوغ سدرية الشعر لتفسير عالم متناقض برؤية فجائية، لعل الشاعر من خلالها يبحث عن شكل جديد للقصيدة، وعالم للسكينة والحب والسلام....، لقد سعى عبد الكريم ينينه من خلال هذه المجموعة الشعرية التي كانت وليدة راهن مفعج وظروف وطنية قاهرة من تاريخ الجزائر إلى إخراج القصيدة من بؤرة الجفاف والجمود، كما استطاع تكسير رتابتها، من خلال استخدام الرموز المختلفة التي غيرت من مسار اللغة العادية وجعلتها ترتقي نحو اللاعادية، كما يلاحظ القارئ من خلال شاعرية مفردات ديوان (رقصة الحمأ المسنون)؛ أن الشاعر يمتلك ثقافة موسوعية، ومخزون لغوي ومعرفي كبير، وحس شاعري وشعري عميق شاعر يحمل همّاً إنسانياً حمله للقارئ من خلال نصوصه المتفردة والتي يمكن أن نقول عنها أنها متكاملة شكلاً ومضموناً.

الهوامش:

*- عبد الكريم ينينه شاعر وقاص ومسرّحي من أدرار.

- 1_ بسام قطوس، سيمياء العنوان، عمان، عاصمة الثقافة العربية، 2002، ص، 37.
- 2_ عبد الرحمن طنكول، الكتابة وكتابة الخطاب، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عدد 9، 1987: 135
- 3_ عبد الكريم ينينه، رقصة الحمأ المسنون، شعر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الغاية، الجزائر، 2002.
- 4_ كندي، محمد علي، الرموز القناع في الشعر العربي الحديث، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2003م، ص، 253.
- 5_ حسن المودن، الرواية والتحليل النصي، منشورات الاختلاف، ط، 2009، 1، ص، 67.
- 6_ المرجع نفسه، ص، 46.
- 7_ المرجع نفسه، ص، 47.
- 8_ محمد معتصم، الرؤية الفجائية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط، 2003، 1، ص، 16.